

الثقافة

AL-THAQAFa

العدد ١ : شارع الكهفاس مابين - القاهرة - تلفون رقم : ٢٢٦٦٢
٥٦٦٦٩

العدد ٢٦٣ : الثلاثاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٦٣ - ١١ من يناير سنة ١٩٤٤ : السنة السادسة

فهرس العدد

صفحة	صفحة
١٨ : تعليق على • إصلاح التعليم : للاستاذ محمد البرزعي	٩ : روبرت • قبل الأربعين ... : الدكتور أحمد زكي بك ...
٢٢ : أدب الأسبوع : ...	• مبحث إشعاع ... : الأستاذ أحمد أمين بك ...
٢٢ : أفرا - الحسان والمركب -	٩ : لي لفة في ذاتي ... : الدكتور مصطفى جواد ...
٢٢ : زعمانية الأدب : ...	١٢ : وظائف الدولة ... : محمد محمود ...
٢٢ : الحمار - خبطة : ...	١٥ : في حضرة أبي العلاء ... : أحمد طلس ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

مطالعات أشتات :

روزفلت

قبل الأربعين

للككتور أحمد زكي بك

السنن تستمرى العيش ، ونحن دفء الحياة حتى يكاد يكون الدفء اصطلاحاً ، ونحن في ماضٍ سعيد ذي جاد وذى نراه ، ونحن في حاضر نذلّ بشارة على مستقبل والنجاح أملاً ، والعمل أوفر . ثم تصور أنك ذهبت يوماً إلى فراشك تستريح من برد أصابعك ، ثم أخذت تحرك إحدى رجليك فأبنت عليك الحركة ، ثم أخذت بعد قليل تحرك يديها فأبنت عليك الحركة ، ثم استطلمت رأيت الطيب استطلاح موجس لفنان ، فقال لك إنه الشلل ،

المعروف الشائع عند الناس أن سن الأربعين هي السن التي يكتمل فيها الجسم ، ويستقر فيها العقل ، وتردهم عندها في الحياة الآمال . لا تلك الآمال الصغيرة التي تكون والحياة صغيرة ، ولكن تلك التي تكون كبيرة ، وقوة الحياة الدافعة في أشدها ، والقوة العاقلة في عنفوانها ، والقاب الجشاش في فوزاته .

تصور نفسك وقد بلغت هذه السن ، أو طلمت على مشرف قريب منها . ثم تصور أنك في كسب هذه

رحل هذا البيت ، في حضن الريف ، وعلى النهر ، نهير
عند سنن ، فتمنّى على الأرض ركوب الحيل ، وتعلّم على
السباحة قيادة السفن . ونشأ في غير مدرسة ، فقد علّمه
في البيت أبوه وعلمته أمه . وجري مع والده في الريف
الطليق تعلم من الطبيعة الحبيبة ، وشرب من أفواقيها
وكان وحيداً أمه ، فوجد بعض أُنسائه عند الجيران ، فلب
مع أطفالهم ، ومعهم دروس اللغات وما تُعلّمه المدرسة
من علوم .

وبلغ عامه الخامس عشر ، فبعث به أبوه إلى مدرسة
خاصة من خير المدارس ، مدرسة جروتون Groton ، وفي
هذه المدرسة دخلت في غسه الزبينة ، أول ما دخلت ،
من هؤلاء النفر من ذوي الثراء الذين يطلبون لتفسيهم
على كل مغرم ، مركزاً بين الناس ممتازاً ، يكسبونه على
الأكثر بالترفع عن الغفيرة ، والتعاجز عن السكافة .
وفي هذه المدرسة تألمه شقيقه بالماء ، وقيادة السفن من
قوله . ولعب كمالاً كثيرة عن السفن وأساطيل البحار ،
صارت له من بعد ذلك مجموعة من خيرة الجامعين في هذا
الموضوع . كان من أروها في حياته المستقبل ما كان .
وقعت الحرب بين الولايات المتحدة وأسبانيا وهو في
هذه المدرسة ، فتركها يطلب أن يلتحق بأسطول الولايات
بحاراً ، ولكن الحظبة أصابته عندئذ فارتدت بها
على أعقابها .

وبلغ الثامنة عشرة في عام ١٩٠٠ ، فذهب إلى الجامعة
التفكيرية جامعة هارفرد Harvard . فأظهر بها ذكاء
ممتازاً ، ولكن كانه صبر التحصيل . وهو إن لم يبلغ فيها
مبلغ الطالب الذي يصل بالدرس ليله بنهاره . فقد تشقّق
فيها ذهنه ، واتسع أفقه ، وغدنه بالسلوك الطيبة فيها
أسانته . ووقع له في هذه الجامعة ما وقع في تلك المدرسة :
التمتزاز صاخر من جميات تلك الجامعة ، فهي جاءت

وإنه « لثقل الأطفال » ، وإنه « دام عياء » لاجبة فيه
للأطباء . إلا أن يشاء الله ، وقليل ما يشاء . فسكّ يرق
عندك وعندي بعد هذه من الحياة ودقتها ، وإلى أي شيء
كان يتطاول بنا الأمل ؟ إلى السكون إلى بقية من العيش
نستفدنا في ركن هادئ من أركان الدنيا لا يكاد وإنما فيه
أحد ، ولا يكاد يسمع بنا فيه أحد ، ولا نعب أن نرانا
فيه عين ناظر ، أو نحس بوجودنا فيه أذن سامع ، حتى
من ذوي القرى الأفرين ؟ أم نرانا يتطاول بنا الأمل إلى
معترك الدنيا ، إلى حيث موج الحياة أغنى وأضعب ،
تطلب ، لا السيادة في قرية ، ولا السيادة في مدينة ،
ولكن تطلب السيادة في أمة ، وفي أمت من أمت
الأرض العظيمة ؟

لقد اختار روزفلت ، لما أكل عند باب الأوريجين شيليه ،
وأصابه عندها من عسل الأقدار ما أصابه ، اختار
معترك الحياة الأضعب . واختار له أمة ركن الحياة
الأسكن ، فأبى عليها . لقد أبى أن يتقرّب من غيره ،
فكان هذا له أول نصر مبين ، وكان نصراً في ميدان النفس ،
وهو أصعب الميادين أوثقاً ، وأخطأها حُكماً . والمتصمر
فيه يهون عليه من بعده انتصار يرومه في ميدان سياسة
أو ميدان مال ، أو في ميدان حرب ورجال . وهذا النصر
الأول ، بهذا النجيب الأول ، تابع صاحبنا نجحه في
الحياة حتى صار منها إلى ما نعرف : ثلاث ثلاثة في أيديهم
زمام هذه السكرة من بعد الله ، إذا سئلت أي هؤلاء
الثلاثة أعظم ، وأهمّ أظم ، وأهمّ أعلى كماً وأرفع نجماً ،
لم تذكر كيف نجيب .

وُلد فرنسيس كلين روزفلت Franklin Roosevelt
في الثلاثين من يناير عام ١٨٨٢ ، فهو مستمّ عامته الثاني
والثين هذا الشهر . وكان أبوه جيمس روزفلت مزارعاً
ذا ثراء ، وأخيه أبوه من زوجة له ثانية . ونشأ في

وحضر ثيودور إرفاق بالطبع ، فقد كان وصي الزوجة ومُهدبها في الحفل إلى زوجها . وكان حفلاً أومنتقانياً من الأفعال النادرة . وقد أكتب الرئيس الحفل وجاعة ، ولكنه استأثر بأفكار الناس . ودخل الرئيس إلى مكتبة البار تجهمر حوله الناس يستمعون له . وخلا المكان بالزوجين حيث كانا ، فلم يكن لهما بد إلا اتباع الجمهور ، فذهبا إلى المكتبة مع الداهيين ، ووقفا عند حافة الجمع يستمعان في السمتعين .

وعلى عام ١٩١٠ ، فينتشع لصاحبنا باب السياسة أول افتتاح . خلا مقعد في مجلس شيوخ ولاية نيويورك . وكان شغل هذا المقعد شبيحاً جمهورياً . وأراد الديمقراطيون أن يشغله ديمقراطي . فبحثوا عن رجل جمع إلى أسالة الاسم وعظمة الفراء ، فوقعوا على فرنسكن روزفلت . وكان في الثامنة والعشرين . فأنهز هذه الفرصة لتدقيق المرشحين في مذاق . وطاف بالولاية مطافاً فأنهز في سيارته . وكانت سيارات هذا العصر - ولم هذا من حضر مقباً هذا العصر في مصر - سيارات لا تسكاد ثم سمع حتى قف ، ولا تسكاد أبداً حتى تلتحي . فكان روزفلت كما وفقت سيارته للإصلاح ، أنهزها فرصة لحظية قناس . وقار بالتمدد .

ولكنه لم يلبث أن خيب رأي الحزب فيه . فقد كانت مجالس الشيوخ بالولايات تختار مجلس شيوخ الدولة شيوخه . وكان الحزب الديمقراطي قد اختار رجلاً لمجلس شيوخ الدولة لم يكن ممن ترشح له كل الضائر . فرفض روزفلت قبوله . وترغم حركة تدعو إلى رفضه . واستشاط الحزب غضباً ، وهذت آتته جرس من يتصدى لحركتها . ولكن روزفلت محمد ، وصمد له أسداه له في الحزب . وانصر وانصروا أخيراً . فاختار الحزب رجلاً أقرب بالتمدد وأولى .

طلبت الترفع عن الناس والتجاذج عنهم . رأى في ذلك الترفع غروراً ، ورأى فيه كذباً . واختبر عسواً في هذه الجمعيات فلم يثمنه ذلك من إعلان خطفه . وقاد الحجة عليها . وقد كان له أن يستمع بما يستمع الأعضاء منها . ولكنه لم يكن . استمتع بمرور ولا إقرار لأحد بمكافة كاذبة .

وما جاء عام ١٩٠٤ حتى كان روزفلت قد انتقل من جامعة هارفرد إلى مدرسة الحقوق بجامعة كولومبيا . وفي عام ١٩٠٥ بدأ عمله في القانون ، فالتحق بشركة المحاماة في مدينة نيويورك .

وفي هذا العام ، عام ١٩٠٥ ، وهو في الثامنة والعشرين ، وهو أملاً ما يكون حياً ، وأكثر ما يكون جمال رجولة ، وأهم ما يكون ثغراً ، تزوج زوجته التي كان لها في حياته ، وفي حياة الولايات من بعد ذلك دور غير قليل . وكانت هذه الزوجة ثيودور روزفلت ولم تكن بانه عته . وإن أوم اسمها كان . ولكنها من بنات أمهات البعدين . وكان عجباً عند ذلك رئيس الولايات المتحدة، ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt وهو الذي حضر إلى مصر من بعد ذلك ، وإليه وجه شاعرنا شوقي حديثه في قصيدته « أنس الوجود » ، حيث قال :

أبها التتحي بأسوان دأوا
كالتريثا تريد أن تنفضنا
اخلع التعل والخفض الطرف واحتشع
لأعحاول من آية الدهر عصا
وكان ثيودور روزفلت جمهورياً . وكان فرنسكن روزفلت عند ذلك ديمقراطي الميل ، ثم كان ديمقراطي المسيح من بعد ذلك . فقد باعدت الداهب بينهما كما باعدت الأزحام .

وفي الحرب ذار أوروبا ، وزار إنجلترا ، واتصل برجال السياسة حينما ذهب . وجاءت الهدنة ، وجاء السلم ، فراهه عمله فيهما اتصالاً بالرجال . وعاد وتُسن إلى الولايات ، ومعه روزفلت ، وعصبة الأمم . وبدأ ولن حثته للكرة العسبة ، وعملها معه روزفلت ، نخباً جيماً . وجاء ميعاد الانتخاب لرأس الجمهورية ، فنصب الديمقراطيون روزفلت وكيلا لرئيس . وبني روزفلت وبني الديمقراطيون حلتهم على أساس العصبة ، وأساس اتخاذها نظاماً عالمياً يحدد علاقات ما بين الأمم على أصول من التسامح اتبعها هذا الديمقراطي الأكاديمي ، أستاذ الجامعة ، وخاب فيها ، وشُدع كما خُدع أبو موسى الأشعري ، قبل أن تُلأ قدماء ساحل الولايات عند عودته . وخاب روزفلت في هذا الانتخاب ، وخاب الديمقراطيون .

وصنع روزفلت بعد ذلك ما يصنعه كل غافل : انتهى

بأنه إنك لم تسمع الخبيد أن يجرب خطه من جديد . وعاد

إلى حربه القديم .

وكان هذا عام ١٩١٣ . وكان روزفلت في الحادية والثلاثين من عمره .
وتأتى الحرب العالمية الأولى ، حرب عام ١٩١٤ . وتأخذ تقرب من شواطئ الولايات كما اقتربت هذه الحرب الحاضرة . وبأخذ روزفلت الشاب بؤس من اقترابها خيفة ، كما أوجس خيفة من مثله في هذه الحرب الحاضرة . ويحاول أن يقنع رئيس الدولة ، ولنسن ، بالتوسع في الأسطول ، والاستعداد قبل القوات . ولم يقنع ولن إلا بعد أن كثير من نابه الشر ، ولم يعد بعد من الحرب مفر . وعندها أنفق روزفلت ماله في إعداد الأسطول للززال . ودخلت أمريكا الحرب . ولم يكن يستقيم من ذلك بعض ما نعظم . ولا شك أن كان في هذه التجربة الأولى ، في تلك الحرب الأولى ، خير مما كان نتيجته هذه الثانية ، في هذه الحرب الثانية ، والوقوف واحد ، والعدو واحد ، وله مكان ولنسن ولأسنة كثيرة .

ولم يكن روزفلت في هذا على حربه متجنباً . فقد أعلن في البدء لخاربه أنه لن يرتبط برأي فرد ولا آلة حزب ، كأنها ما كان ، ما خالف ذلك رأيه .

وبعد عام فتنها الأحزاب للصراع على رئاسة الولايات المتحدة ، وبشخص الديمقراطيون ولنسن - الدكتور ودرو ولنسن Woodrow Wilson ، الرجل الأكاديمي ، أستاذ الجامعة ، ورئيس جامعة برنستون - يتخذونه مرشحاً لهذه الرئاسة . ويشترك روزفلت في الصراع ديمقراطياً . ويجهاد في هذا ذا روح الأعد ، تيودور روزفلت ، رئيس الولايات الأسبق ، فقد كان ينتصب مرشحاً جمهورياً . ثم يخفق تيودور ، ويغوز ولن في الصراع . ويغوز فرنسكان روزفلت ينتصب في وزارة حبيبة إلى قلبه من أيام صباه . ذلك منصب سكرتير مساعد في وزارة البحرية .

كان هذا عام ١٩١٣ . وكان روزفلت في الحادية والثلاثين من عمره .

وتأتى الحرب العالمية الأولى ، حرب عام ١٩١٤ . وتأخذ تقرب من شواطئ الولايات كما اقتربت هذه الحرب الحاضرة . وبأخذ روزفلت الشاب بؤس من اقترابها خيفة ، كما أوجس خيفة من مثله في هذه الحرب الحاضرة . ويحاول أن يقنع رئيس الدولة ، ولنسن ، بالتوسع في الأسطول ، والاستعداد قبل القوات . ولم يقنع ولن إلا بعد أن كثير من نابه الشر ، ولم يعد بعد من الحرب مفر . وعندها أنفق روزفلت ماله في إعداد الأسطول للززال . ودخلت أمريكا الحرب . ولم يكن يستقيم من ذلك بعض ما نعظم . ولا شك أن كان في هذه التجربة الأولى ، في تلك الحرب الأولى ، خير مما كان نتيجته هذه الثانية ، في هذه الحرب الثانية ، والوقوف واحد ، والعدو واحد ، وله مكان ولنسن ولأسنة كثيرة .

أحمد زكي

مفرقة :

في العدد القادم : روزفلت بعد الأربعين

زعماء الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر :

٤ - مدحت باشا

هذه الباجرة «عز الدين» تمخر البحر لتغرق به في ثمر من ثمر أوروبا ، وقد ضاعت كل آماله ؛ فشكل ما حذر من تقدير في الثورة ونتائجها ، والدستور وثيقه ، والسلطان عبد الحميد وخضوعه لإرادة الأمة ، قضى عليه في لحظة ، وزال من الوجود في لحظة ، ولاددت الدولة إلى ما كانت عليه قبل جهاده المتواصل ، وكدمه المتتابع ؛ وكل ما في يده الآن غضب السلطان عليه وعلى أتباعه ، ويمدحه عن أهله ، ونجرده من ماله .

لو أن أي إنسان عادي آخر مكانه لمن الإصلاح والمصلحين ، وترك الدولة في حراة ظلم سلاطينها ، وانتظر حتى يلتقي بمظهر القصاد بعد أن يكونا قد وفتوا ، نصح فلم يمتصحو ، وأتذر فلم يمتصحو ، فارتدت نفسه بصدق ما نلتها ، وحدث ما أظنر . ولكن لم يكن مدحت في شيء من هذا ، فاصرت هذه الحواطر بنفسه حتى طاردها ، وأخذ يفكر من جديد في وسائل إصلاح ما كان ، وهج من نفسه فوصفها بقوله : « إن حب الإصلاح قد اختلط بدني فشكل كالمرض للزمن لا يبرأ منه »

فكر سريعا ، ووصل إلى النتيجة سريعا ، فرأى أن روسيا تحارب بلاده وتجميع لها جيوشها الجائرة ، وبذهب القيصير بنفسه إلى ميدان القتال لتخمين الجند ، والدول كلها تنكباً بصبرتها ، فواجهه - إذن - أن يؤكث الدول على روسيا ما استطاع ، وبين لسكل منها الأصرار التي تنالها من عزعة الدولة العثمانية ، وتديل خريطتها ، فهو في أسبانيا ينصل بساسة إنجلترا وفرنسا ، ويحاول إقناعهم بأرائه ، ثم يذهب إلى إنجلترا لهذا الغرض ، ويبرق إلى اللابن ويقول : « قد سمعت مدة إقامتي في عاصمة بلاد

الإنجليز بما يعود على دولتنا بالرفع ورفع شأن حكومتنا ، وحاولت إقناعهم بمقد صلح يحفظ الدولة وعظمتها ، وأقتصر أي وقت إلى ذلك بعض التوفيق . ثم يذهب إلى فيينا لهذا الغرض ويبرق فيقول : « أما اليوم في فيينا » أبذل الجهد الترويج بنفس الساعي ... وآمل إخباري عما يوافق مصلحة الأمة لأستمع به على أمنيته الوحيدة ، وقد وقتت حياتي لتخليص الدولة من ورطتها ، وأنا قادر على القيام بأعباء ما يطلب مني ، ومصلحة الوطن تضطرق إلى ذلك .

وكانت تعرضه صعوبة أن بعض الدول رد عليه بأنه ليس مفوضاً ، ولا له صفة رسمية يشكلم بها ، وأنه ليس إلا رجلاً مفتياً ، فطلب من الدولة تصحيح موقفه لإتمام مساعيها فلم يجد مجيباً .

وأغرب ما في الأمر بعد ذلك أن زف إليه « ناظر التشریفات » بشرى أن السلطان ذكره بمحضه ، وسأل عنه . فاستجاب وقال « ناظر التشریفات » : إنه في حالة غيابة ، فطلب من بلده إلى بلده ، ويبيت بالقرض ، فظهرت رقة قلب السلطان وبكى ، وقال أرسلوا له ألف ليرة ، ثم يختم الخطاب بأن يطلب منه شكر السلطان ، وتفرغه إليه بالنعو عنه .

فلن السكين « ناظر التشریفات » أن كل النفوس ذليلة كذالته ، متفقة ككلمة ؛ ولكن هذا الخطاب وقع من نفس مدحت الأية موقع السهم السموم في القواد الجرح فهاج وثار ، ورد عليه فقال :

« لقد عبرتم السلطان عن حال بأنها حال يؤس يلتقل من بلده إلى بلده ، تستدرون بذلك شفقتي ، وهذا وصف لا يوصف به إلا قاذف الشعور آفاق ، لا رجل مثل عمل ماحمل وتولى الصدارة بمجادرة .

وأنا كما وصفتم من أسباب عيشي وفقرى ، فقد افترضت عشرة آلاف فرنك من خرساكي في نابولي ففندت ، وأنا اليوم أسعى في فرض جديد أسد به رفق ورمق

لا تزال تذكر من أهل البلاد التي عمل فيها بالجد والثناء ،
 لقد ولي العراق ، وولي سلاطيك ، وولي الشام ،
 وولي أزمير ؟ وكان له في كل أولئك خطوة واحدة ، بعد
 — أولاً — إلى الأشقياء الذين يمشون بالأمن فيضربهم
 ضربة تتخلع منها قلوبهم وقلوب أمثالهم ، فإن الأمن شامل
 والهدوء عام ، ثم ينشر العدل بين الناس فيطمئنون على
 أنفسهم وأموالهم ، ويعمل بالشورى فيحيط نفسه بتجسس
 من خيرة الولاية يستشيرهم في أمورهم ، ويجريهم على قول
 الحق في صراحة ، ويعلمهم كيف يعاملون للثأكل ، ثم
 يصلح الطرق ويربط الولاية بشبكة محكمة ، لأن ذلك يعين
 على الإسراع في ضبط أمورهم ، ثم يضع الخطط لاستقلال
 منابع الثروة في البلاد على خير وجه ، كل ولاية بما يناسبها
 حتى يزيد نجاحها على تقاضها ، ويأخذ من المال الناتج في
 إنشاء المدارس ونشر التعليم ، وهو عمله هذا يضع نواة
 الطرق في بلاد قضاها الجهل وكادت تنم الأمية .

أمرني في الآستانة ؛ ولكنني لم أجد ذلك ، فقد ولدت عاري
 الجسد ، وساميت عاري الجسد ، وأنا ابن الخاج أشرف
 أفندي ونعم السب ، ومع هذا فلا أفسب إلا إلى الله ،
 ودجيري أتى عاهدته أن لا أقول إلا الحق . ولو أومسني
 إلى مثل ما ألقاه الآن من الشدائد .

وما الذي فعلت من إجرام حتى أنقلب العفو ؟ لقد
 سميت في تولية السلطان مراد بعد عبد العزيز ، قد مرص
 سميت أن يجلس مكانه السلطان عبد الحميد ، وكان جلوسه
 مفروفاً بإعلان الدستور ، ووضع خطط الإصلاح .

« ومنذ خروجي من الآستانة وأنا أفكر في الدولة
 وسبل إنقاذها من الهالك ، ولا أفكر في نفسي ، فإذا
 في هذا مما يستتر منه ؟ »

« لقد بلغت السادسة والخمسين ، ولا أمل لي في الحياة ؛
 فلم يتجاوز أسلاني الستين ، فأبى مدودة وكل رجلي أن
 أعيش منفرداً ، وأدعو لولي العلم الأعظم . »

هذه خلاصة كتاب أنل ما رويته له أنه كان من
 نصير عن قوة مدحت وعقلته ورأيه في إصلاح
 لقد وصف « ملطش التشرعات » هذا الخطأ ما قرأه
 بأنه كالمروء عطلت من حليها ، وعسريت من ثيابها ،
 ولكن أن يكون الجمال إذا لم يكن هذا جيلاً ؟ وفي الحق
 أن هناك عيوباً لا ترى الجلال الحق في الإبا ، والشم ، وإنما
 ترى الجلال للتصنع في التفاني والخلق .

كان يوماً بدعاب في الريف عند صديق له من دولت
 الإمبراطور ، وإذا سفير الدولة العثمانية في إنجلترا يتسائله ؛
 ويبلغه أن السلطان سمح له أن يقيم مع أسرته في جزيرة
 « كريد » ، فذهب إليها وعاش فيها مع أسرته نحو شهرين .
 ثم عين والياً لسورية ، ثم لأزمير ، ثم كانت مأساة التي
 حتمت بها حياته كما سنبينه بعد .

هذا هو العمود القفري في حياة مدحت ، وله بجانب
 هذا أعمال فرعية في الولايات التي تولاها ، وهي أعمال خالدة

في تاريخ العراق الحديث ، سنة ١٢٨٥ هـ - سنة ١٢٨٧ م في عهد
 السلطان عبد العزيز ، وأصبح رؤساء المشاريعة عتادها ، وذو
 الأعضاء ، وحازهم في أوكارهم ، ثم أصبح أمانة الحكومة ، فأقبل
 الزراع على زراعتهم ، والعامل والصانع على عملهم وصنائعهم ،
 وأنشأ أول مطبعة في بغداد ، وشجع على إنشاء جريدة
 سماها « الزوراء » ؛ وحث الشركات على العمل ؛ فشركة
 تسير البواخر بين بغداد والبصرة ، وشركة تسير القرام
 بين بغداد والسكاكية ؛ وقرت الساقفة بين بغداد والبصرة
 بتحويل بحري حجة ، وبث المهندسين الزراعيين بالرسون
 حالة البلاد الزراعية ، وأنشأ مدرعاً عاماً في بغداد سماه
 « بستان الأمة » ؛ ميلت بالجميع سي .

ومن طريق آرائه أنه عرف أن « بالتصنف » كنزاً
 مدفوعة ، فيها كثير من الأحجار الكريمة كانت تزين بها
 الأضرحة والشاهد قد أخذت أيام هجوم الروايبين وهدمهم
 للقبور ، فأخرجها مدحت ، وقومها الطيار ، مما يزيد على
 ثلثمائة ألف ليرة ؛ فأخرج مدحت بيعها وإنشاء خط حديد

فشكل الجميات ، وجمع الإعانات ، وفتح المدارس ، وأصلح المساجد وجعلها مدارس ، ووضع عقوبة لولى أمر الطفل إذا بلغ ابنه السادسة ولم يرسله إلى المدرسة ، واستعان بأموال الأوقاف في أمور التعليم ، وتأسست في عهد «حمية القاصد الخيرية» وانتشرت شعبها في البلاد ، ولما حاول الإصلاح الاقتصادي والإداري اصطدم بالدول ، فكانت فرنسا صاحبة امتياز لبنان ، وكانت الحكومة العثمانية خصصت لها خمسة وعشرين ألف ليرة من إيرادات حاكم الشام ، فكتب إلى رئيس الوزارة يقطع هذا المبلغ فمضت فرنسا ، وهكذا وهكذا من مشاكل ، والتماسات تحاك حوله ، وتشتاع الإشاعات بأنه يريد الاستقلال بسوريا ، ويستدل على ذلك بأن هانقا غنط «فليجي مدحت باشا» ، وأن كاتبها كتب «الخدوى مدحت» . ولذلك لم يتمكن من الإصلاح في الشام كما تمكن منه في العراق ، مما لاقى من الكفاء في الداخل والخارج . فبأنه للمصلحين

والذين تقام إلى أزمير ، فلم يطل بها مقامه حتى كثر له الحجة .
فقد حصل الخمين من وفاء السلطان عبد العزيز تحركت السألة من جديد ، وأشييت الإشاعات أنه لم يتجر وأنها قتل بابا مدحت وأصحابه . وبلغ مدحت وهو في أزمير أنه يراد القبض عليه والتحقيق معه ، وكتب إليه صديق له «فاخرج إلى لك من الناصحين» . وعرض عليه بعض أصدقائه من الأوربيين ركوب باخرة معدة وسفر إلى الخارج فرفض وقال : «كيف أترك الأفرار الجرحى على نصيب هامن العبيحة» . وبنما هو بأزمير في داره إذا بالجنود تحيط به ، ويقبض عليه ويرسل إلى الأستانة لحاكمته بهمة الاشراف التي قتل عبد العزيز . من عهد أن تولى السلطان عبد الحميد ، وهو لا يأمن جانب مدحت ، ومن لف لفه ، ويخشى جد الخشية أن يمدوا معه تغيب دور عبد العزيز ، وبلغت به الخشية حد المحرم ، فكل قوى المملكة من مال ورجال وصنع وبصر مستغرة للمحافظة على شخصه ، ومراقبة مدحت وأمثاله ،

بشمتها بين النجف وإيران (لأنه كان قد اشترك في الشروع بها كثير من القرس) ، فلم يوافقهم العلماء على ذلك فبطل المشروع . كذلك من طرائفه أنه ألف مجلساً لمشورى في بغداد يرجع إليه في أمور الولاية ، ولم تكن الناس تألف الجهر بالرأى والشجاعة في القول ، ولا تعلم بحال الولى شخصية ، فجمعهم يوماً وقال لهم : إلى أرى الحاجة ماسة إلى استئذان الباب العالي في زيادة الضرائب لتنفيذ ما نرى من وجوه الإصلاح . فإذا أروا ؟ قالوا جميعاً موافقون . وهذا هو الرأى ، وهى الحكمة ، فكتب بذلك محضراً وختمه بجميعهم ، ثم جمعهم في اليوم الثانى وقال : لقد فكرت في أمر زيادة الضرائب فترأى لى أنها ظلم فادع لا يستطيعه الناس ، ولكن محضر أمن أرسل ، فإذا أراهم هذا الرأى ضوياً كتبنا آخر الحقائق به ، وبينا الأسباب الموجبة لتفضيه ، فقالوا باسم الرأى ما رأيت ؟ وقوموا على الثانى كما وقوموا على الأول . فأمسك بالحضرين هذا بيد وهذا بيده وقال : والله ما أراسته ولكن أريد أن أخرجكم من قيمة المجلس إذا رجعت دأماً إلى رأى واحد ! ثم أتى عليهم درساً قاسياً في الحرية وقواضئها ، والخصية والذكوبية ، والاستقلال في الرأى ومزايده .

وكانت ولاية لشام أصعب ، فقد تولاهما في العهد الحيندى بعد حوادث مع عبد العزيز وإنهائه بالجمهورية ، وعدها السلطان والمابين والوزراء له ، كلهم يترصد به الدوائر . ثم مشاكل الشام أعقد من مشاكل العراق ، فهذه مشاكلها بدو وعشار ، وعلاقتها بإيران ونحو ذلك ، أما مشاكل الشام فأخطر : أمور لبنان متصل بفرنسا ، وأمور الفروز متصل بالبحر ، ولكل دولة مصالح ومدارس وكنايس ، وغير ذلك . فكان أول ما لفت نظره ما ذكر من «أن مسلحها قد فشا بينهم الجهل . . . ومدارس الإفرنج تقدم كل يوم تقدماً ملفوساً ، وليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن ، فكنت أفكر في أمر تعليم أبناء المسلمين وإصلاح مدارسنا» .

لأن من قدر على البدء كان أقدم على الإمامة . وأخيراً انتهى هو وأخوانه لقصاء على مدينت وأصحاب هذه التهمة ، قد رتبوا كتبهم ، ورتبت شهودهم ، ورتبت حملة الإيقاع بهم . وبعد محاكمة صورية حكم عليهم بالإعدام ، فتوسط الإنجليز وبعض سفراء الدول فاستبدل بالإعدام التي ، ووضعوا في باخرة سارت بهم إلى جدة ومنها إلى الطائف . وأهبطوا في يوم خروجهم من الآستانة بالتضييق عليهم في ما كانهم وملبسهم ومتاعهم . وسجنوا في قلعة الطائف ثلاث سنين ، وأجرى عليهم العذاب ألواناً ، وكان مر عليهم زمن وهم أحياء زادهم تضييقاً حتى يموتوا . ومن اشتد من الضباط عليهم رقى ، ومن أخذته الشفقة عليهم أبعد . ومدينت يرسل الكتب إلى أهل يطلب منهم مالا يفتات به ، ويبدل كثيراً من الحيل في إيصالها إليهم ، وإذا أرسلوه لم يصل إليه . وغاية من سادة القوم منهم مدينت يمشون على صحن من « شورية » مصنوعة من الماء وورق الذجيل في الصباح ومثله في المساء . يربدون بذلك حتى يشعروا جوعاً فلا يموتون . وأخيراً ساق ولادة الأمور بهم درعاً فمروا أن يسموهم ، ولكن مدينت وجهه يكشفون المؤامرة . فلما أعينهم الحيل أوعزوا بمنقه لظنق . وكان آخر ما كتب إلى أهل كتابنا جاء فيه : « سيكون هذا الكتاب آخر ما أكتب فيما أظن .

فقد أخذوا منا الأظلام والداد والورق ، وضيقوا علينا الطائف ، وقصدوا تسميتنا واحداً بعد واحد ، ولكن ظهرت بينهم .

ولا بد أن يصلوا يوماً ما إلى عرشهم . فإذا جاءكم خير وفاق قبل كتابي فلا تحزنوا . وأنا أرجو من الله العفوة فقد مت فداء الوطن ، وأستودعكم الخالق الباقي » .

قصي مدينت حياته كلها في الإصلاح الاجتماعي ، يختار من البداية الحديثة أحسن ما وصلت إليه من تنظيم الحكم على أساس الشورى التي تنفق وتعاليم الإسلام ،

ويأخذ جبر أساليبها في نشر العلم وتنظيم الحياة الاقتصادية للبلاد ، ويراعي في ذلك كله مستوى الأمة ومقدورها على الاختصاص ، فيعجل ما أمكن ، ويؤجل ما لم يمكن إلى أن يمكن . ويجوز ما يأخذه حتى يتفق وعقلية شعبه ، ويبتدئ من العذاب بصيغه في هذه السبيل لأنه يربطه بتقيده الدينية . فالدين في نظره ليس صلاة وصوماً فقط ، ولكنه مع ذلك حمل ظهير لشعبه ، ولا خير أرقى من الأخذ بيد الأمة لتتبع حقوقها وواجباتها ، وتصور على من يقف عقبة في سبيل تقدمها - ومن أجل هذا كان هادئاً مطمئناً مستشيراً ، وهو في مقام يرتقب الموت من ساعة إلى ساعة ، يقول لأهله في بعض كتبه : إني أقرأ القرآن وأستعيد حفظه ، وأستعذب تكرار آية « ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وأعدّها أكثر عزاء لي ، وأهزأ بما أسمع من هجاء واقتراء ، فقد سمعت كل أموري لذي . إن الحياة محدودة وهي كالقوة ومحتة كالحطب عليها نيران ، ولنا أسوة في الأنبياء والأولياء الذين فتحوا الدنيا فصبروا على ما أصابهم . فإذا فرغ من عباداته ، دوّن بعض مذكراته .

وقد خدمت أفسكاره شناعة وفاته أكثر مما خدمها جهاده في حياته ، فقد ألمت النفوس الحيرة بما أصابه أذاً محضاً ، وتماحجت النار في أفئدتهم ، وأفئدتهم من يتصل بهم ، وكانت أحداث الظلم التتالية تغذيها بالوقود ، فلما التهمت النيران التهمت عبد الحيد كما التهمت من قبله عبد العزيز ! بل لعلها أبصرت في التي التهمت فكرة الخلافة من أساسها فيها بعد .

والآن لننتقل بأجهزتنا إلى مصاح آخر من صف آخر ، هو السيد جمال الدين الأفغاني ، وبالي اللقاء .

أحمد أمين

لى لذة فى ذلتى ...

لحود الآثار أسباب وثيقة ، ولتخليدها دواع قوة ،
وقد يكون الأثر وسطاً أو دليلاً فى حقيقته ، فإذا تهيناً
له سبب من أسباب الخلود ، وداع من دواعي التخليد ،
استجعت فيه قوتان تكفلان له بالعلو والعلو ، فيكون
غير نفسه بالأمس ، ويرتفع عنه منذ اليوم الجديد على غده
القديم ، وهذا أمر مشهود أبداً ، ملحوظ فى أكثر
الأشياء ، وقدما قال قائليه : « والتبر كالتبر ملق فى
أما كنهه » ، و « التؤلؤ الرطب فى الأحماق كالخمر » ،
و « العود فى أرضه نوع من الخطب » . هذا فى الأشياء
المستعملة التى يقبها الاستعمال أو يقبها قيمتها الانحلال ،
أما الآثار الثمينة كالنقش والفنسة والشعر والنثر الأدبى
وفنون الأدب الأخرى ، فعلى التى ترك على من الدهور ،
وتعلم مع كثر العصور ، ولا يحل لحدودها أو زوالها ،
من فترات يعينها التنازع فى الكمال والافتخار فى
الاستقلال ، فكلان حسنة بقاء الأصابع ، وطبيعة فوز
الأصابع ، وقبة أخرى اليمالى وأبد الأبد . والأثر الخالد
هو الذى استجعت فيه أكثر أسباب الكمال النفسى
أولاً أو آخراً ، وأمثلاً أو اكتساباً . وموضوعنا فى هذه
الكلمة المكتوبة « الشعر » فإنه يقب عنه وينخفض
ويرتفع ، ويضيع ويشتع ، وينحط ويعلو ، بحسب الأسباب
القائفة له التى تعتمد على الزمان وأهله ، والأهواء الأدبية
والأطوار القوية . ومن أسباب كمال الشعر التى ذكرها
قدما الأدباء أن تكون « ألفاظه متخيرة ، ومعانيه
منتخبة ، وألفاظه عذبة ، ومخارجة سهلة ، ودباحته كريمة ،
وطبيع ناطقه متمكنة ، وسبك جيد ، وأن يكون له ماء
ورونى » (١) . ولكن هذا القياس غير مطرد ، وذلك لظفر

غير لازم ، فإن للكمال أسباباً لا تقب ، ودواعى لا تخصى
ولا يحاط بها . قال الأديب الكاتب أبو الحسن على بن
الحسين الأثير المعروف بابن أخت المفسر من معاصرى
أبى إسحاق الصائى : « فلو ترك الناس أغراضهم من
النظم والنثر ، والحد والمزل ، اعتقاداً على السابقين الأولين
لما ت (٢) الخواطر ، وسقطت لهم ، ولكن لكل جديد لذة »
ولكل حديث بهجة ، كما أن لكل قديم يسام . . . قالت
إذا تأملت شعر امرئ القيس وجدته قد سبق إلى كل
معنى نادر ، وذهب بكل فضل باهر ، ولم يترك لى لذة
محالاً يشق فيه قياسه ، ومقالاً يبلغ به شأوه . ولا ترى
اليوم (٣) أكسد من ديوان شعره بالعراق ، وقد صارت
الزينة كلها فى ديوان أبى فراس والصورى وكشاحم
والنفسى وأشباعهم من شعراء الوقت (٤) . فاللذة ، عند
الكاتب هذا ، كانت سبباً فى إقبال الناس على شعراء
الزمان . قلت لى لذة فى ذلتى ، لى لذة فى ذلتى وخسوفى ؟
وهل كان سبب معرفة الأدباء لها كونها جديدة ؟ ليس
الأمر بذلك ، وإن ادعاه مدع فليس هناك . لأن الذى
رفع عن هذه الأبيات ، ورجعها إلى الحياة ، وأولع بها
الشيوخ والفتيان والفتيات ، هو النفسى بصوت معنية
عربية فاعية باهرة ، مجيدة قادرة ، فذلك الذى خلده هذه
الأبيات الوسط ، ورفعها من عوّة الجود إلى قمة الخلود .
ومن سعادة الشعراء أن يقب شعرهم ، فإن التقى بالشعر
زيد فله الأديب « عشرين مرة » لا عشر مرات ، ولذلك
يكون من الصعب أن يقابى بين شعر غنى به وشعر

(١) كذا ورد باللام والهمزة من دونها ، وهو لحن
الفرقان الكريم . (٢) فى القرن الرابع للهجرة .
(٣) أسود التاريخ والأدب ، ج ٢٦ ص ٤٣ . نقله من
كتاب « المصنوع اللطيف » لأبى الدولة محمد بن محمد بن عمة الله
الأفصى القاضى السامى .

آخر لم يلبس حُلَّةَ الفناء ، ولا نُفُخَ فيه رُوحُ القَتْلِ .
 وصاحبُ « لَيْلَةِ ذِي وَحْشَى » من السَّعْدَاءِ ، لأنَّ الله قد هبَّ له سَيِّبًا لِيُخْلِدهُ شِعْرُهُ ، وَلَسَكَ
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ صَاحِبَهُ — أَمْعَى صَاحِبُ
 الشَّعْرِ — مِنَ الْوَاجِبِ الْأَدْبِيِّ الَّذِي قَبِلْنَا لِمَثَلِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ
 وَالْأَدْبَاءِ أَنْ نَذِيعَ تَرْجُمَتَهُ بَيْنَ النَّاسِ فَقُولُ :

هو شاعر بغدادي اسمه «أبو الحسن» سمى الله بن
نصر - وقيل نصر الله بن سعد بن علي بن الدجاجي،
ذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه^(١)، وقال الدين
أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الربيعي^(٢)، وقاضي القضاة
عز الدين عبد العزيز بن جماعة الكفائي في تحفة الشعراء
المشدد^(٣)، وصلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات^(٤)
وابن شاكر الكنتي^(٥) وغير هؤلاء المؤرخين^(٦)، ولد
بغداد بالحلب الشرقي منها سنة ٤٨٢ أو سنة ٤٨٠، ومنها

نشأ وتأدب، ونفق على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وروى
الوعظ والتذكير، وقرأ القرآن الكريم بالكرامات والأتان على طرقة
زمانه بفناء الشيخ أبي منصور محمد بن أحمد الشافعي
وقرأ أيضاً على الرئيس أبي الخطاب علي بن عبد الرحمن بن
الحراج، وسمع الحديث منهما ومن أبي الخطاب محفوظ بن
أحمد الكواشي فقيه الحنفية في عصره، ومن غيرهم؛ وروى
ما رواه مسند الإمام ابن حنبل؛ وروى عنه بعد سنين
كثيرة، وأقرأ الناس القرآن المجيد، وحدث بالأحاديث
النبيهة، غال جمال الدين الديلمي في تاريخه: «فأقرأتُ على
أبي الفضل عبد بن أبي نصر القرني»، قلت له: أخبركم

(١) المشتمل في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٢٨
(٢) دلي تاريخ بغداد، أصول الأدب والتاريخ ج ٢٠
ص ١٢١ (٣) ذلك المراجع ج ٥ ص ١٣١
(٤) فيه ج ١١ ص ٥٥ (٥) فوائد الوفيات
ج ١ ص ١٦٧ (٦) كتاب الإسلام إلى سبعة السعالي
في تاريخ بغداد، ومن الحافظ أبي الحسن عمر بن أبي الحسن القرشي
مفسر في تاريخه

أبو الحسن سعد الله بن الدجاني - قراءة عليه -
وأنت تسمع ، فأقره (هـ) (وأسند الحديث إلى عبد الله بن
مسعود) قال قال رسول الله (ص) : « مررت ليلة
أمرى في إبراهيم - عليه السلام - فقال : يا هذا
أفرأيت أمك مني السلام وأخبرتهم أن الجنة عطية
الجنة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان وأعراسها قول : سبحان
الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله » . وكان لطيف الكلام حلوا لا يري إلا ملازماً
للمطالعة إلى آخر حياته . وله شعر جيد بالغ فيه الصفدي
قدمه من الطبقة الأولى . ومنه الأبيات التي احتجبت
هذه البحث :

لِإِلهٍ فِي قُلُوبِ وَخُصُوعِي
وَأَحِبِّي بَيْنَ يَدَيْكَ سَفَكَ دَمُوعِي
وَنَفْسِي فِي رَأْيِ عَيْنِكَ رَاحَةٌ

ل من حوى قد كثر بين ضلوه
ما التل بالحبوب في شرع الهوى
عار ولا حور الهوى بديهم

عيسى أمات فأن عقوق سيدي
محمدين راجك لقلبي الوجوع
مد بالسامع عطف لطفك وانعم

بجمال وجهك من سؤال شفيع
ومن شعره وقد طأني فيه :

ملکم' مهجتي بعا و مقدره
فانتم اليوم اعداء و اهل ل

علوت نظراً ولكني شئت هوى
خبيكم هو إعلالي وأعل لي

أَوْسَىٰ لِي السَّبْحَ أَنْ أَشُقَّ عَيْسَىٰ
فَسَقَطَ إِلَيْنِ أَوْسَىٰ وَأَوْسَىٰ لِي

والتي هي مباحثها عشرة القياس و ١٤
القياس من تلك الآيات ١٤ على علما باستحالة القياس .

والاقتصاد (١)

وأما بعد استعانة إلى أن أتت النظر إلى ما في الآراء المتفرقة من خطأ ، وليس أقل تصديقا الخاتمة من النقل من الأوروبيين في غير فهم واضح لاعتبارات التاريخ والبيئة . فبالله جوسفات ليبون من سر تقدم الإنجليز السكسونيين ونقلت الشعوب اللاتينية كلام قديم فلما نجد في أوروبا اليوم من يؤمن به ؟ فالزم قد تغير ، وجميع الدول لسير الآن دامية أو كارعة نحو التدخل في كافة مراحق الحياة . حتى الإنجليز أنفسهم في سبيل العدول عن مبدأ الحرية ، حتى نستطيع أن نقول إن حزب الأحرار قد مات في إنجلترا حيث ولد ، وإن نظريات سمث وريكاردو وغيرها قد دخلت في نكح التاريخ . ثم إننا غير تلك الدول : تاريخنا غير تاريخهم ، وتربيتنا غير تربيتهم ، وأخلاقنا غير أخلاقهم ، نفس الأمر أمر مناسقات نظرية وتعميمات لا حتى لنا .

وإن يكن من المفهوم أن المحلات كالثقافة أو غيرها ليست مدار للتدريس ، إلا أننا مع ذلك نحاول إيضاح معنى تدخل الدولة في حدوده ونطاقه لسبب واحد ، هو أننا قد أوشكنا أن نمدا في صياغة برامج لأخبارتنا تستند إلى أصول عامة في الحكم ، ولعله يكون من واجبا وواجب غورا من المشتغلين بالمسائل العقلية أن يوضحوا السبل ويحددوا من الأخطاء ، حتى لا تضل الفرائز والشهوات الفطرية حياتنا المعاصرة .

مبدأ تدخل الدولة لم يعرف إلا في النصف الأخير من

(١) يستلح حضرة الكاتب أن يراجع طي الأفل الكتاب الذي يستخدمه جميع طلبة الحقوق لمرسا ومصر وعنوانه (تاريخ سدس الاقتصادية) Histoire des doctrines économiques par Ch. Gide et Ch. Rist حيث يجسد من صفحة ١٨٠ إلى صفحة ٢٢٥ فضلا عن (اشتراكية الدولة) التي صيغها تدخل الدولة .

وظائف الدولة

قرأت في « الثقافة » مقالا عن تدخل الدولة يقول كاتبه إنه راجع تاريخ الهند والصين واليونان في العصور القديمة ، فوجد أن تدخل الدولة في حياة تلك الأمم أدى إلى انحطاطها ، ولكنني لا أعرف في تاريخ تلك البلاد أنه قد قامت بها في العصور القديمة حكومات موحدة ، وأنه قد كان هناك تدخل من تلك الحكومات . وأنا أترك جانباً الهند والصين ، فتراخ تلك البلاد القديم لا يعرفه لأنا ولا ميري على نحو يمكننا من الحكم على علاقة الدولة بالفرد ؛ وأما اليونان فلما أعرف أنه لم يكن بها قدما غير مدن كاثينا وإسبرطة وطيبة ، وكانت كل مدينة تكون دولة ، وفي أهم تلك المدن وهي أثينا كان الشعب هو الدولة ، فالشعب هو الحاكم لنفسه التدخل في أمر نفسه ، وكان فاضلا على

وأما القرون الوسطى وأورها ميراثها الإقطاعي . النظام الإقطاعي هو السكن هناك دول ، ولأن فلتستعمل كيف تدخلت تلك الدول التي لم توجد في حياة الشعوب ؟ وإنما الذي نعرفه هو أن « اتحادات المدن » هي التي وجدت وتحسكت في الأفراد .

بقيت العصور الحديثة ، ومن الغريب أن يقول الكاتب إنه لم يجد « مؤلفا ولا مشرعا ولا كاتبا » دعا إلى تدخل الدولة بصراحة ، وأنا طبعاً كنت أعني أن أكون الجيئي في هذا الميدان ، ولكنني لسوء الحظ قد سقطت إليه . سبق لي إليه عشرات بل مئات من كبار المفكرين . سبقني شلييه ، ولويس بلان ، وكورنو ، ورودرس ، ولالاس وفنتجر ، وكثيرون غيرهم ممن يخدم الكاتب الفاضل في جميع الكتب التي تتحدث عن تاريخ المذاهب السياسية

القرن التاسع عشر، وقد كان ظهوره كره قبل لذهب الحرية في الحياة الاقتصادية، ولكني أخرج من الجدل النظري الذي اشتهت فيه أنصار وأخصوم كل من المذهبين، دعنا نغز في بساطة إلى وظائف الدولة لتحديد موضع الخصومة.

هناك وظائف ثلاث لا ينافي أحد في وجوب نهوض الدولة بها وهي: (١) الأمن الذي يحققه البوليس والحفر. (٢) سلامة الوطن التي يحميها الجيش (٣) تطبيق القوانين بإشراف القضاء.

والسكن هذه الوظائف ليست كل شيء في حياة الأمة، فمهمة الحياة الثقافية التي ينهض بها التعليم، والحياة الاجتماعية بما تتبع من إقامة التوازن بين الطبقات المختلفة ورعاية حقوق كل طبقة، وأخيراً الحياة الاقتصادية من إنتاج وتداول واستهلاك.

فأما الحياة الثقافية، فقلت أدري من الذي يعتقد أن يدع الحكومة المصرية إلى صلب التعليم فيها، حتى لا تنحط الأمة؟ يقول الكاتب إن التعليم في مصر من محمل الشعب قد يكون. ولكن ماذا يراد بالعمل في مصر؟ هل ندعو حكومتنا إلى أن ترد جامعة فؤاد إلى حالتها الأولى لتظل جامعة أهلية؟ هل نطائرها بإغلاق جامعة فاروق لتترك الشعب يفتحها متى شاء؟ ولقد استشهد الكاتب برأي فؤاد باشا سراج الدين عن وجوب نهوض الشعب بحركة التعاون، ملعباً بحب على الشعب أن يكون تلك الجمعيات؟ ولكني أرى أن فؤاد باشا شديد الاهتمام بقانون التعاون وبينك التعاون، وبتعليم التعاون، وبمجة التعاون التي يحاجتها الكاتب بأرأها؟ وما معنى كل هذا، أليس هو تدخل الدولة الذي صيقتني إليه الحكومة؟ ثم أو ما أرى أن الحكومة الحاضرة سياستها كلها تقوم على التدخل في كافة مرافق حياتنا التي أساسها ركود الإجماع الحكومي؟ والتعليم بنوع خاص، ألسنا نرى الدولة تهم

بأن تدخل فيما يزعنا أن تدخل فيه. لقد اعتزمت دولتنا أن توجه الأجيال القادمة إلى ميادين النشاط المختلفة التي يصاحون لها، ففهم من سيوجه إلى مدرسة ثانوية صناعية أو تجارية أو زراعية أو فنية؟ وهذه خطوة شهدت الكتاب والسياسيين بل الأفراد العاديين يقتلون حولها في فرنسا أيام الوزارة الاشتراكية وزرارة ليون بلوم، التي لم تجرؤ أن تجعل «التوجيه المهني» إجبارياً مكثفياً بمهمة مجرد تبسيحية لتسدى للأولاد والآباء. وإذا كنا قد وصلنا من التدخل في التمام إلى هذه الدرجة فهل يأتي اليوم أحدنا فيقول إن أحد وزراءنا بحث الشعب على العمل، وبذلك تكون سياستنا الآن عدم التدخل؟ هذا فهم غريب وقفر في ملاحظة التيارات العامة في سياستنا، فمهمة حكومتنا القائمة كلها سياسة تدخل، وهي تدع في هذا إلى حدود لا تفرها وربما اقتضاها في غير هذا.

القارئ إذا في بلاد أو أمريكا، في البلاد الأولى إذ كانت دولة القارئ لم تنشأ إلا سنة ١٨٨٩ فليس معنى هذا أنه لم تكن هناك هيئات حكومية تشرف على التعليم العام؟ وكذلك الأمر في البلاد الثانية فليست هناك وزارة المعارف لأنهم تركوا التعليم لاختصاص السلطات المحلية في كل ولاية. ثم مالينا وإنجلترا أو أمريكا. لكن في بلادنا، ما هي حالتنا وكيف نقوم القاسد فيها؟ أتركه للشعب أم ندعو الحكومة إلى العمل؟ هل تترك الشعب يدعو الأمية وينشر التعليم المهني ويؤسس الجامعات؟ أي عاقل يقول هذا القول؟

وفي الحياة الاجتماعية نرى أن معتر يبلغ فيها الظلم الاجتماعي حداً كبيراً، وما أنا بحاجة إلى أن أثير القارئ بوصف حالات الفقر وحالات الغراء التي نلاحظ جميعاً ما بينها من تفاوت مؤلم، وإذا كان العالم كله قد سار نحو التدخل لإصلاح الطبقات المتفاوتة، أنا في نحن اليوم ونقول

كيفية بدورها عضو من مذهب بكافة ، ويصل بها إلى ذروة النجاح ! بل أو ما ترى إلى جميعات بدورها ليس لا يسكب منها شيئا يذكر ومع ذلك نجحت أي نجاح ! فكر مثلا في لجنة التأليف . وأبعد من ذلك دلالة الجميعة الخيرية ، وها هنا إلى جوارى مستشفى المواساة الذي تآخرو به الإسكندرية مدن أوروبا الكبرى . أو ما تعلم أن الذي بناء رجل خير طيب الله تراه كانت وكبلا بالجرم بالإسكندرية ؟ وبقيت حجة أخيرة ، يقول إن الأفراد أو الشركات أقدر على الإدارة من موظفي الدولة ، ولكن ها هي السكة الحديدية في مصر ، وها هي شركات النقل ؟ من يستطيع أن يزعم أن شركات النقل تجمع من السكة الحديدية عددا ؟

والآن فلننظر إلى أحوالنا الداخلية . لدينا ثروات هائلة ، وأراضي يمكن أن تستصلح ، وقوى كهربائية يمكن أن تولد ، ومشروعات عامة من نزع وطرق ومصارف وما إليها . إن كل ذلك للشعب وتنتظر حتى ينهض بها ؟ وهل أصلا يمكن التجربة مساقط أسوان ؟ وبعد كل ذلك ترى من يفكرون في الهواء فيقولون : لا ؛ إن دعوة الدولة إلى التدخل معناه عدم تقبلنا كأفراد بأنفسنا ؛ معناه أننا ضعاف ، وما إلى ذلك من كلام فارغ . وأفرغ منه ما يجاريه البعض من حرية الفرد ؛ كأننا في بلاد ينجح حرية الفرد فيها شيء . يذكر أ لقد فلت في مقالتي التي يتفقد الكاتب إن من واجب الدولة أن تمنح الفرد من الدولة ذاتها بأحد أمرين ، فإما أن تعطى القضاء العادي حق حايته من الحكومة حماية فعالة ، وإما أن تلتشى قضاء إداريا يختص بتلك الحاية ، لأننا كما هو معلوم لا نملك الآن هذه الحاية ولا تلك .

لقد حان الحين لأن نصحو إلى الواقع الذي يحومنا ، وكفى تحبطا في نظريات غريبة لا تجيد فهمها .

محمد مندور

للدولة خذى عبدا الحرية ، مبدأ سمح وورد يكاره ودمي الفرد يعمل والتجارة نحر ؟ لقد أسفرت تلك النظرة عن الحالة التي يعانيها كثير من الشعوب ، وبأيت القوى كان قويا بنفسه . واستكته قوى بالورثة ؛ وصاحب رأس المال يستغل العامل ، والمالك يستغل الفلاح ، والناشر يستغل الكاتب ، وليس هؤلاء إلا أن تعميم الدولة . لقد وضع العالم المتحضر تشاريع المهال ، وهذا هو التدخل ؛ واستخدم نظام الضرائب لتحقيق العدل الاجتماعي ، وهذا هو التدخل ؛ وأقام الهيئات تفصل بين صاحب العمل والعامل ، وهذا هو التدخل . والدولة بعد لم تعد حاكما مستبدا بل أداة تنفيذ لإرادة الأمة . ثم من الذي سيضمن للفرد معالجة من المرض وقونه إذا أدركته الشيخوخة ، أو الماهة أو البطالة ، أترك ذلك للشعب ؟ عجيب هذا المنطق ، منطق يكذبه الواقع ويكذبه العقل السليم .

في النشاط الاقتصادي ، وها هنا القوة القاهرة . ولكن فريق حججه التي تستحق النظر استعجاب الدرع عليه الحرة برون أن النعمة الشخصية هي أهم ما من النجاح في الحياة الاقتصادية ، والدولة كشخصية معنوية بتقصها هذا الحافز ، وهم يريدون أن يتركوا الفرد يضي في نفسه روح البدة والقدرة على تحمل المسؤوليات حتى يترقى تلك الحرية الاستقلالية التي أشار إليها الكاتب ، ولكن المصلحة الفردية مصلحة أثرة مدمرة ، وهناك مصلحة الأمة ومصلحة الأفراد الآخرين ، فإذا تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة أو مصلحة الفرد مع مصلحة فرد آخر ، من يوفق بين هذه المصالح إن لم تكن الدولة ؟ انظر مثلا إلى شركات الاحتكار كشركات الماء والكهرباء ببلادنا ، ماذا يكون مصيرنا إذا لم تدخل الدولة لحماية مصالحنا نحن المستهلكين ؟ ثم من قال إن المصلحة المباشرة إذا اندمجت فتل كل مشروع اقتصادي . أو ما ترى إلى الشركات السامحة

في حضرة أبي العلاء

لنا أن القبر لم يحدث فيه أي تغيير منذ القرن الخامس للهجرة .

وكان ضروريا أن يخفر العال قبر أبي العلاء ليعيدوا بناء من جديد ، فحرقوه وكشفوا عن اللحد ، وأقبلت أريد الزول فتهيب أول الأمر ، ونحلت الشيخ الجليل فيه ، ثم تشجعت وتزلت ، فوجدت البناء مهجوما ، وليس في اللحد أثر من حجمة أو عظم أو عجب ذب . ثم أعاد العال بناء اللحد كما كان ، وأعادوا القبر حيث كان تماما . وكانت الشمس قد آذنت بالمغرب فقلنا راجعين إلى دمشق وصلناها في منتصف الليل ، فدخلت غرفة نومي وخلعت ثيابي ، وتعمدت على فراشي أحاول النوم بعد ذلك النهار المصب الشاق ، الذي قضينا نصفه في السيارة تقطع بنا ثمانين أو تسعين كيلو متر في الساعة ، ونصع في حل الحجارة ، وصور القبور ، وما إلى ذلك . وبعثا حاول أن أحطب النوم بالمصطفى فوسنا أنا كذلك إذا رأى الشيخ الجليل مائلا أمامي ، فحبل ودعت عليه التحية ، وكان إلى جانبه طائفة من الذين عرفوا بهم منهم ، كالأستاذ الدكتور بدر الدين النصاري ، والأستاذ سليم الجندي ، والرحوم أحمد تيمور باشا ، والدكتور طه حسين بك ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ عبد العزيز الرابح كوفي . وكان أبا العلاء أحسن أني . لم أعرف نية صنيح ، قال : أنا هذا الشيخ الذي إلى عيني فهو أبو طاهر السلفي تلميذ تلميذ التبريزي ، وأنا الثاني فهو مواطنك كاللذين بن المدم الحلي ، وأنا الثالث فهو أبو منصور عبد الله بن سعيد الطائي . وأنا هذا الذي إلى يساري فهو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن هاشم ناسخي وكانني وملازمي ، لم يتركني منذ أن أتويت في بيتي سنة ٤٠٠ لتأليف الإملاء ، فأملت عليه أكثر كشي ، فتولى نسخها وإيقانها أحسن الله موته ، وأرغمي بذلك حقوقا جمة وأبدى بيضا ، لأنه أفنى في زمته ، ولم يأخذ مما صنع منه . وأفد بعضنا لاجزاء ، وبكمية حوادث

في ليل العاشر من تشرين الثاني ذق جرس الهاتف ، فتناولت السماعة فإذا المستشرق المهندس السيو أبكوشار يتحدثني من بيروت ، ويطلب إلى أن أهني نفسي إلى السفر إلى المرة للإشراف على بنائي ضريح أبي العلاء الذي كاد أن يتم ، وقرأت الكتابات الحجرية التي عثر عليها في القبور الثلاثة التي وجدت إلى جانب قبر أبي العلاء ، فهيات نفسي وفي صباح اليوم الثاني في الساعة الرابعة توجهنا إلى المرة ، فكان الجو بارداً والمياه مطيرة . تركنا دمشق فدا وصلنا حمص حتى أشرقت الشمس وصح الجو ، فتركنا مدينة حمص إلى حماه ، ومنها إلى المرة ، فرأينا البناء قد تم ، وهو بنا محمد المهندس أبكوشار فيه إلى إحياء الفن الإسلامي القديم ، على الضريح مدرسة لها مسجدها ومكتبتها وأروقها . وإليك إذا ما دخلنا نوهت أنك داخل إلى محطته في محطس العصر الأيوبي ، حصن واسع ، فيه حديقته ومسجد الفخري في جنوبه إبان لطيف ، تحته يقوم القبر ، وإلى جاني القبر بابان يؤديان إلى مسجد ضخم ، في جانبه الأيمن غرفتان وفي جانبه الأيسر مكتبة ضخمة . ومن وراء المسجد حصن فيه القبور الثلاثة المكتشفة ، أحدها قبر مجهول ، وثانيها قبر امرأة ماتت سنة اثنين وأربعين وسنة ، وثالثها قبر أحمد بن إسماعيل بن سليمان التنوخي سنة ٧٦٠ ، وحول هذه القبور الثلاثة كتابات كوفية (من آية الكرسي) بارعة جدا .

أما قبر أبي العلاء نفسه فقبر ساذج ضخم ، له شاهدة واحدة كتب عليها بالسكوفي الشجر (قبر أبي العلاء ابن عبد الله بن سليمان) ، وقد أتى الزمان على كلتي (قبر وأني) ، وعلى طاهر هذه الشاهدة ما نصه : « راحة الله عليه » . وليس على القبر تاريخ ، ولكن طرز بناء القبر والكتابة يوكدان

الزمن والأدواء . فقلت : يا سيدي الشيخ أنا والله سعيد بهذه الزيارة فكيف أنت ؟ قال : على أحسن حال ، وأجود بالـ : يارك الله فيك وفي الذي بدلت . وتبدل أنت وجماعتك في بناء ضريحي ومدرستي ، ولولا أن جزاء المرء على نيته لما سمعت مني كلمة الشكر هذه ، فمن قال لك إني أسبل إلى رفع الأضرحة وإشادة المائر على قبور الأموات ؟ فتقدم الدكتور ظه حسين وقال : إنهم يا سيدي يقومون ببعض حقك ، ولكم كتبنا يوم إخواننا الشاميين على تصغيرهم في القيام بهذا الواجب ، ولهم منا الآن أفضل الشكر على أن أمروا ما شرعوا ، وأنا أرجو أن يكون يوم الذكرى الألفية يوماً نغماً يليق بتقام الشيخ ويحمد ذكراه الطيبة . فقال الشيخ : جزاك خير أربك بأمله ! فأتت نأى إلى الكمال من كل تواجيك ، وما أنسى فمن أنسى أنك أول من أحيا ذكرى في هذا القرن المشرق ، فكنت عني ما كتبت ، ودعيت حبك الشديد إلى الخلاء ، وفتحت في ذلك من بعض معاصريك نقداً وعنا . ولكيف كنت تسير قديماً ، ولا تحفل بما قالوا : *فذلك إيتهم بكم* . فإني لا أملك أحييت ذكرى ، فأنا أرفع الناس فيه ، بل لا أملك كشفت لأبناء عصرك القطاء عن بعض آرائ في الحياة ، فعملهم يستبدون بهديها . ثم التفت إلى الأستاذ سليم الحندي فقال : وأنت يا سليم لقد قضيت شطراً كبيراً من عمرك في الكتابة عني ، بولي عندك طلب أرجو أن توفى إليه ؛ ذلك أني أفرح الناس بتخصيص جناح من مدرستي ليكون مكتبة يبعد منها أثناء المرة وزوالها ، فاسع بأن المرة في تنمية هذه المكتبة فهي أفضل شيء في هذا الشروع . فقال الحندي : سمعاً للشيخ وتلبية . وهنا كان الشيخ يتحدث والإستاذ الحندي والدكتور ظه كثر أفكر في سؤال الشيخ عما كتب هؤلاء الأساتذة فيه ، وعن رأيه في كل ما كتبوا . فلما أتم حديثه قلت : أريد أن أسأل الشيخ الجليل أسئلة فاعلم بحبي عنها ، فقال : هات . قلت :

ما رأيتك فيما كتب هؤلاء السادة المبعوثون بك . فقال : سؤال عرج . وليتك سألتني عنه وهم غائبون ، فأنا والله شاكر لهم ما بذلوه . على أن في كل كتاب حقوة أو حقول ، وما كتبت أحب أن أقد كتيبهم في محضرم ، ولكني رجل كنت قولاً للحق صداقاً به ، وسأكون ذلك الرجل . أما أستاذك وصديق النعساني فهو من الناس القليلين الذين فهموا شعري ، واعتنقوا مذهبي ، وهو على قلة ما كتب مني من أفضل رجال هذا القرن فهموا شعري وأدبي ، ولعله هو الوحيد من بين الذين كتبوا عني وآمنوا بما كتبوا ، واعتقدوه دستوراً لهم في الحياة ، فإن آراء في الدين والحياة والراء آرائي . وسكت الشيخ ، فقال بدر الدين الحمد لله الذي حقق ظني ، فقد كنت أتهم أنني أسطأت فهم بعض أوهامك ، ولا أضعفك أي يوم كنت ألقظ أفساسي الأخير سألتني أن يجمعي بك فور انتقالني إلى الدار الآخرة ، وهذا ما كان ، فإني أملك وأطعمت شربة سرور لا يريد حبه . وأنا سعيد بخبرك بذلك هذه . فقلت : وأنا يا سيدي بدر الدين ، سألقظ للناس من أسدافك وأعدائك كلمات الشيخ فيك في أدبك . فقال : لا لا بأس به ، لا فعل ذلك فإن هؤلاء الناس لا يساوون عندى جناح بعوضة ، وما كنت أحفل بهم في حياتي . وأنا الآن أكثر عزوفاً عنهم ، وعن تقديرهم وإحبابهم . ثم أخذ الحديث شيخ المرة فقال : أما الحندي سليم ، فقد دافع عن إغائي ، وأطرد وأبدأ وكتب على كتابه الضخم الذي قضى فيه رهرة عمره ، وقد اطلعت على كل ما كتب فأنا له شاكر ، ولكم كنت أود ألا يقضي فترة طويلة في الدافع عن عقيدتي وإغائي ، وليرك الطاعنين في يطعنون ويقولون ما يشاءون ، فليس لفلهم وزن ولا لحرأتهم قيمة ، ولية وهو اللغوي اللين انصرف إلى شرح الترمذيات ثم ما يكشف عن غوامضها لدى طلاب علم هذا الجيل . فقال الحندي : أنا باطل وسعي في

«كلاماً أساسياً لا تعدفوا مرةً مما كتبت في خلاص الناس ، أو احدثوه ، كما هو بصائرهم أن يجهلوه ، وهو منا في الصميم ، وإنه ياتي في القوموس وإن زال من الطروس (رجعة أي العلاء ص ٢٠) ، وفي كتابك يا غفار كثير من الآراء التي رافقي ، كما أن فيه آراء ليست أقوى من أن نسميها إلى ؟ وإن أصبح ما اسمه إلى قولك : «أما انظر فلا أستبعد أن الشيخ قد ذاقها في بعض الأفراد التي قصد كان يشاها لندرس ومراجعة الذهب ، فإن أوصافها أوصاف من لا يقتصر في العلم بها على السماع ، بل لا أستبعد أنه كان يدونها من حين إلى حين في حجب في بعض أيام التزلة كما يتم عليه قوله :

فلا تشربها ما حيث وإن تحمل

إلى التي غلبتها تغير عزم »
 وبعد بيان عزم ، نفس في قولنا هذا ما يؤيدك ، وليس من حسن حتى لم يؤيد بك إلى أن تقول ما تقول ، وقد وبعد أن لم تأخذ ، ولقد في عياني ولست صالي
 «ولكنه في ذلك مجتهد بالغ ، وأما ما كتبت في كتابي مع هذا شيء فأنا أخذ بعض مبالغته وهو من كل شيء أقصده ، ولكنه في ذلك مجتهد بالغ ، وأما ما كتبت في كتابي مع وإن أنسى ما بينك يا علي في الكتاب الذي أسمته «مع أي العلاء في سجنه » : وإن غرت لك كل غربة قلباً فيه ، فلا أغتر لك قولك : «قد نسف على أنفسنا وعلى المن الأدنى إن ظننا أن شعر الرومانيات جيد كما من هذه الناحية الفنية الثالثة ، بل نسف على أنفسنا وعلى المن الأدنى إن ظننا أن كثرة هذا الشعر جيد ، وإنا نحقق أن الجيد من شعر الرومانيات قليل يمكن أن يستخلص في عهد عجيب يجمع إلى الجلال أي خلاصة لغات العلامية كلها » ، وهناك كلمات أخرى لك في كتابك هذا لا أحب أن أتحدثك الحساب عليها ، وأرجو أن يسبح في الوقت ذلك في مرة أخرى .

طلب الشيخ أعز الله . ثم التفت الشيخ إلى نيمور باشا فقال : وهذا رجل كان يستطيع أن يعمل كثيراً ، ولكن الأجل عليه ؟ وكتابه الذي كتب على ما فيه من المعلومات وكثرة كثيرة ، قليل عزيز ، سيء التلخيص . أخذ عنه أشياء ليس لها كبير فناء ، وهو كرمه الجدي أطال القول في ديني ، وما كان أفتاها من ذلك . ثم التفت إلى نيمور باشا فقال : نحن في عالم لا يراى فيه ولا يدارى فقال نيمور باشا : أعوذ بالله من أن أشك في صواب نظر الشيخ وحسن رأيه ، وله أعز الله كل الحرية في أن يقول ما يشاء ويحكم بما يريد . ثم التفت الشيخ إلى طه بك فقال : أما ما كتب طه في كتابه ، فأنا راض عنه كل الرضا ، وشكر له كل الشكر ، ونفوره به كل الفخر ، فهو الذي صحح أوهام المستشرقين ، وبعد سلامهم في أفولهم ق . وهو الذي أخرج الناس بظلمة يحكمهم أظلمة هذا العصر كل فلسفي وآراني ، وإن كنت أخذ عليه في هذا شيئاً فأنا أخذ بعض مبالغته وهو من كل شيء أقصده ، ولكنه في ذلك مجتهد بالغ ، وأما ما كتبت في كتابي مع وإن أنسى ما بينك يا علي في الكتاب الذي أسمته «مع أي العلاء في سجنه » : وإن غرت لك كل غربة قلباً فيه ، فلا أغتر لك قولك : «قد نسف على أنفسنا وعلى المن الأدنى إن ظننا أن شعر الرومانيات جيد كما من هذه الناحية الفنية الثالثة ، بل نسف على أنفسنا وعلى المن الأدنى إن ظننا أن كثرة هذا الشعر جيد ، وإنا نحقق أن الجيد من شعر الرومانيات قليل يمكن أن يستخلص في عهد عجيب يجمع إلى الجلال أي خلاصة لغات العلامية كلها » ، وهناك كلمات أخرى لك في كتابك هذا لا أحب أن أتحدثك الحساب عليها ، وأرجو أن يسبح في الوقت ذلك في مرة أخرى .

وأما الأستاذ العقاد فقد رافقي أسلوب كتابه ، وأعجبني طريقة معالجته ، وإنني معجب كل الإعجاب بقوله على أساس :

أسعد للناس

نعلن على :

«إصلاح التعليم في مصر»

كان لهذا التقرير الذي أصدره حضرة صاحب المثل وزير المعارف فرحة في قلوب الآباء والأمهات ، إذ وجدوا فيه وعدا صريحا بأن دور المعلم سيتفتح أبوابها بالجلان للأطفال والمعلمين وكثير من البائسين ، حيث أهدوا غذاء العقل ، وغذاء الجسم .

وكان له أيضا صداه بين الأفراد والجماعات من المصريين وغير المصريين ، فتناولوه بالدرس والتقد ، وبهما اختلفت فيه الآراء ، فإنها تكاد تنفق على أنه « دستور تعليمي ثوري شامل » .

وقد يكون من المبالغة والمبالغة بما ألا يترخص به مربي منى التعليق على إنتاج رئيسه ، والسكت بغيره ، إن هذا الوزير لا يأتي انتقد الخلل ، وأنه يشر في إصلاح التعليم موضوعا للدرس والبحث ، ولتين على أفعاله وأعماله جليا ، يشجع على أن أساهم في التعليق على هذا المشروع الإصلاحي .

وأول ما يلفت نظر القارئ ، هو أن معاني الوزير قد استغل بوضع هذا التقرير معتمدا على ما قرأ من مناهج الكتب والتقارير ، ومن بينها تقارير وصفا للدورين المأمون والراقبون في الوزارة . وقد جرت العادة في البلاد التي سبقتنا في الإصلاح أن يוכל وضع مثل هذا التقرير إلى طائفة استشارية فنية ، ألتزم وتعرض المشكلات وتقدم مقترحاتها إلى الوزير الذي يقرها مبدئيا ثم يعرضها على البرلمان للمناقشة وإبداء الرأي . ولعل معاني وزيرنا لم يلجأ إلى هذه الطريقة التقليدية توغيرا للوقت ، ورغبة في الإسراع بإخراج المشروع ولادة الفكرة ناقشته في البرلمان وخارجيه . وقد أراد بهذا أن يكون عمق اللجان

التقيد التكميلي ، وأن تقوم بوضع الخططة التفصيلية التنفيذية سياسة المشروع العامة .

التعليم «ثوري» والتعليم «ثوري» : عقد التقرير فصلا

طويلا عن التعليم الإلزامي ، وذكر السبب في إخفاق نظامه ، وأن عليه يرجع إلى قصر المدة المخصصة له ، وهي ستان ونصف على الحقيقة . ثم جاء بالإصلاح الفشود فجعل مدته سبع سنوات تبدأ في عام السنة السادسة ، وذلك على نظام اليوم للكمال . ويقترح التقرير أن يوجه هذا التعليم لأوجهة عملية ثلاثم حاجة البيئة التي نشأ فيها التلميذ ، زراعية أو صناعية أو تجارية أو ملاحية . . وفي الوقت نفسه يشق الناشئ تقيفا عاما كافيا ليعينه على فهم الحياة العامة في بلاده . وهذا مثل عام للنظام الذي يجب أن يكون عليه التعليم الإلزامي في مصر . ولستكن

المرجع إلى جانب التعليم الأولي (ابتدائي) ، وهو تعليم (المرحلة الأخيرة من حياة التلميذ ، ويعتاز من إعداد المدارس الثانوية ، ولهذا الموضوع للدرس والبحث ، ولتين على أفعاله وأعماله جليا ، يشجع على أن أساهم في التعليق على هذا المشروع الإصلاحي .

وأول ما يلفت نظر القارئ ، هو أن معاني الوزير قد استغل بوضع هذا التقرير معتمدا على ما قرأ من مناهج الكتب والتقارير ، ومن بينها تقارير وصفا للدورين المأمون والراقبون في الوزارة . وقد جرت العادة في البلاد التي سبقتنا في الإصلاح أن يוכל وضع مثل هذا التقرير إلى طائفة استشارية فنية ، ألتزم وتعرض المشكلات وتقدم مقترحاتها إلى الوزير الذي يقرها مبدئيا ثم يعرضها على البرلمان للمناقشة وإبداء الرأي . ولعل معاني وزيرنا لم يلجأ إلى هذه الطريقة التقليدية توغيرا للوقت ، ورغبة في الإسراع بإخراج المشروع ولادة الفكرة ناقشته في البرلمان وخارجيه . وقد أراد بهذا أن يكون عمق اللجان

الحض ، ومن بينها ما يشجع الاتجاه الدنى كالتدريس ، وقد زاد الإقبال في السنوات الأخيرة على قسم التخصص لإجازة التدريس ، فالتحق به من أنوع تعلمهم في كلية اللغة العربية ، وعدد كبير ممن تخرجوا في كليات الشريعة وأصول الدين ، وهؤلاء يطلبون التوظيف في المدارس الدينية التي تشرف عليها وزارة المعارف أو تدبرها ، وهؤلاء لا يجدون السبيل المهد للوظائف عادة مكميهم من أبناء الدولة ممن يرتسم وأشرفت على إعدادهم وزارة للتساقف ، وهذا إصاف وعدل ، ولكن هناك شيئاً غير طبيعي في تنوع الإعداد وتنوع الإشراف ، على حين أن المدارس التي يواد إمداده تنوع نوع واحد ، وهذه مشكلة طال تاريخها .

وكنتم أود مخلصاً أن يمرض لها هذا التقرير الذي سيكون إلى الله - دستور التعليم في مصر ، واحتجاً حارماً صريحاً بصاحبة الله والوطن .

تعليم الكبار والتعليم الأميين : وقد التقى فصلان فيما يتعلق بالتعليم ، وهو التعليم للإجليزية Adult education برتبة التعليم لا معنى متفاداة للتعليم المدرسي - الأولية مثلاً - ولكن شاع في القصر المنفعة للدرس والتثقيف والتهذيب ، حتى يشع أفعه ، وتزداد معارفه ، وأشار التقرير إلى أن في وزارة الشؤون الاجتماعية اتجاهات لتحقيق هذا الغرض ، وأن وزارة المعارف ترعيب بهذا الاتجاه ، وهي مستعدة لتقديم « كل ممونة فنية في تنظيم هذا التعليم ووضع خطته وبرامجه » ، وملاحظة تنفيذ هذه الخطط والبرامج . وهذه مآثرة أخرى من مآثر هذا المشروع ، لأن التعليم الناقص قد يكون أخطر على الهيئة الاجتماعية والفرد من الجهل .

وهنا يجدر بي أن أشير إلى أن في مصر نسبة غير صغيرة من الأميين الكبار ، وهؤلاء - وإن كانوا سيتقربون عبر السنين - يتوقون إلى التعليم ، حتى ولو اقتصر تعلمهم على القراءة والكتابة ، على أن في تعلم

ما دمنا قد جعلنا التعليم ديمقراطياً تساوى فيه القصر ، حتى تظهر التواهب الكامنة في أبناء الشعب جميعهم ؟

٢ - أليس من الأصح توحيد المرحلة الأولى من التعليم ، وإنشاء التعليم الابتدائي بصورة الحالية ، وإدماجه في التعليم الأول ، التعليم العام للشعب ؟ إن هذا النظام المزيج من التعليم غير معروف في الدول المتقدمة ، على أنه كان من نتائج تقرير هاندر أن ألقى استعمال عبارة « التعليم الأولي » وأدخل عليها عبارة « التعليم الابتدائي » ، وعلى أية حال فالمشكلة ليست مشكلة ألفاظ وإنما هي مشكلة توحيد من التعليم لا ضرورة لبقائها معاً .

٣ - أمن الضروري تعليم لغة أجنبية قبل البدء في مرحلة التعليم الثانوي ؟

تجوزني عن هذا السؤال والفتي ، وهو جواب أثبتته التجارب الكثيرة ، وعرض له بتفصيل الدكتور وست وهو رجل أمضى حياته في تجارب تعليم اللغة الأجنبية بالهند ، واختار كنيته لعل الأول حيث حل هذه اللغة خارج إنجلترا ، فهو يقول : « ويمكن أن يستخلص من *English in India* موضح كتابنا هذا ^(١) أنه يجب أن يجيد التلميذ قراءة لغته الوطنية قبل البدء في تعليمه اللغة الأجنبية ، وليس هذا البدء أقاصراً على الهند بل يطبق على غيرها أيضاً » .

المؤتمر المشروع : هذه نقطة شائكة لأنها ستخرج سباً من اختصاص وزارة المعارف إلى اختصاص آخر ، ولكني أؤمن بأنها من المحاوراة والصلة بمشروع التعليم الذي ندرسه ، بحيث لا يصبح أن أغفلها في مقال هذا فالأمر جامعة دينية تعليمية ؟ لها معاهدها الخاصة ، الابتدائية والثانوية ، ولها كلياتها ، ولها أقسام للتخصص . ومن ثم أبناء الشعب - لا بناءه - لوظائف عامة في القضاء الشرعي ، والجماعة ، والوظف ، والإمامة ، والتدريس وغيره . ومن بين هذه الوظائف ما يحتفظ بطابعة الدين

السكابر من آباء وأمهات إعدادا للجو الزلى الصالح
الذى يجد فيه التعلم الصغير من والده إرشادا وتشجيعا
وتهديرا للتعليم .

هل نسمع مواردنا بتفصيل المشروع ؟

نشرت الثقافة في عددها ٢٥٩ مقالا تحت عنوان
« منطق الأرقام » قدر فيه كاتبه أن تنفيذ ما جاء في تقرير
التعليم من إصلاح ، وما تحتاج إليه البلاد في الشؤون
الصحية يحتاج نحو ٦٥ مليوناً من الجنيهات سنوياً ،
أى ما يبادل ميزانيتها الحالية .

وسواء أصبح هذا التقدير أم لا ، فهناك حقيقة ثابتة وهى
أن مواردنا كما هى الآن لا تسمح بتنفيذ ما جاء في التقرير
من إصلاح منشود . ولم يتعرض التقرير للأسئلة العملية
التي يدبر بها سائر التعليم . غير أنه ذكر أنه « قد أجمعت
هيئات التعليم ورجال العربية واللغة في الدولة على كفاية
بشؤون العربية في أمريكا ، وبعد التماس في عهد الحرب ، على
أن العالم بجميع ما فيه من موارد متسقة مع الاستقلال
هذه الموارد والانتفاع بها ، وما يتقدم عليه من
التعليم التي تمكن من هذا كله ، لا يبيى أن تستأثر بها
أمة دون أمة ، أو أن تستبد بها طبقة دون طبقة ، وإعلاء
هو حق الجميع ، ولكل فرد في كل أمة أن يطلب حظه
منه ، كما أن لكل أمة في الأرض أن تطلب حظاً أمثلها
منه . واعتماداً على هذا الرأي قرروا ضرورة التزام الأمم
جميعاً بميثاق دول أن تتعاون على تمكين جميع الطبقات
من التعليم على مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص » حتى لو أن
أمة من الأمم الشريكة في هذا الميثاق لم تجد من مواردها
الطبيعية الخاصة أو من طاقتها المالية ما يفيها على تحقيق
هذا المبدأ ، كان فرضاً على هذه الدول القليلة بمواردها أن
تقدم لها العونة الكافية لتحقيقه . ويشترط لذلك طلبها
أن تبذل الأمة ، التي تطلب العونة ، أقصى جهدها وما
تبلغه طاقتها لتحقيق هذا المبدأ بمواردها الخاصة . فذلك

واجبها الأول قبل أن يكون واجب الدول الأخرى .
وهذا النص واضح في أنه إذا ما عجزت موارد مصر
من تنفيذ سياساتها التعليمية فإن هناك مالا احتياطياً تلجأ
إليه عند البطل الفنية . ولكن أى ضمان يكفل لنا تحقيق
هذه الآمال التي خلقها الحارب ، والتي لم تخرج عن حيز
البحث والتفكير ؟ هذا إلى أن واجبنا يقضى بأن نبذل
نحن مجهودنا المالي ضمن مواردها الخاصة لتحقيق مثل
هذا المشروع .

ولقد أوجه معالي وزير المعارف اتجاهها عملياً في البدء
بتدبير المال اللازم للتعليم . وكان من مظاهر هذا الاتجاه
ما حدث في مأودة معالي وزير المالية لرجال المال بعد تنظية
القرض الوطني . فقد اقترح دولة صدقي باشا على معالي
وزير المالية أن يعقد قرضاً لتحسين حال الفلاح وتنفيذ
الشروعات (١) التي تحتاج إليها البلاد بعد الحرب ، « وهذا
قال معالي نقيب المحللين باشا إنه يرجو أن تخصص أموال
القرض الوطني الذي يقرحه دولة صدقي باشا لوزراء المعارف
وتنفيذهم في التعليم » ، وإذا نجح هذا الاقتراح وأمكن عقد
مثل هذا القرض فإن لنا أيضاً أن نساعد ، أمن الصلحة
عقد قرض لا ينفاقه في إصلاح التعليم وأوجه أخرى ضرورية
أم تنفيذ مشروعات الإصلاحية بميزانيتها المحدودة ؟

إن التعليم تجارة واسعة . وليس عقد القروض لقيام
بالمشروعات الإصلاحية أمراً جديداً في تاريخ الأمم ، فكل
الدول — ومن بينها مصر — تعقد قروضاً لتنفيذ
المشروعات العامة التي تعجز ميزانيتها عن تنفيذها . وقد ثبت
بالتجارب والتاريخ أن التعليم يزدقوة الإنتاج ، وبه يمكن فتح
أبواب لوارد من الثروة قد أهملها الجهل ؛ وما أشكر هذه
الوارد في مصر . وقد يكون من المناسب أن أشير هنا إلى
أنه من الضروري أن تقوم بجانب الدارن والمعاهد الفنية
مؤسسات صناعية وزراعية حكومية وحرية ، يمكن أن

(١) الأهرام في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣

إلى أن أعضاء البرلمان الإنجليزى لما عرضت عليهم الإصلاحات التعليمية الأخيرة « قالوا : إن البرلمان لا يمكن أن يتقيد منذ الآن عما سيكون في المستقبل ، ولكنه يوافق مبدئياً على المضي في الإعداد ، والإصلاح على أساس السياسة العامة المقررة - وكلما تمت مرحلة من مراحل الإعداد وأصبحت ممكنة التنفيذ طلب من البرلمان إقرار الاعتمادات اللازمة لها . ولكن ذلك لا يمنع إعداد التشريعات وإقرارها منذ البدء » .

والشخص الذي أصدره معالي الوزير هو من نوع هذه الإصلاحات . فهو مشروع لسياسة التعليم عامة يرمز على لسان الأمة وشيوخها بالبحر ثم قرصة لم تنجح من قبل « بحث حالة التعليم عامة . فلا يقتصر البحث فيها على نوع دون نوع ، ولا على دون غير . وبذلك أيضا نستطيع مصر أن رسم للتعليم نهجاً عاماً على مذهب أغراضه وأهدافه البعيدة وأغراضه العامة » .

عبد العزيز عبد المجيد

ARCHIVE
beta.Sakhrit.com

تعمل فيها الجماعات المدرسية التي تخرجت في هذه المدارس والمناهج الفنية ؛ وهذا يكون تطوراً اقتصادياً ممتدداً مع تطورنا التعليمي . غير أنه يجب ألاستوقع زيادة الإنتاج العام في الدولة بحيث يكفى نفقات التعليم السنوية ، قبل مضي جيل أو جيلين .

هذا إذا لجأنا إلى عقد القروض . فإذا لم يكن هذا ممكناً ، فهناك اقتراحات قد يباين تحقيقها على تنفيذ هذا المشروع التعليمي ، ولو تنفيذاً بطيئاً ، نذكر منها :

١ - أن تهج وزارة المعارف تهج وزارة الصحة قبول تبرع الأفراد والجماعات بالأرض والمال لإنشاء مجموعات صحية ، وتشجع وزارة المعارف الجمهور وتقبل منه مثل هذه التبرعات لإنشاء المدارس القريبة والتأهوية الفنية .

٢ - أن وزارة المعارف في الممالك القريبة لا تصرف للتلاميذ الكتب المقررة والأدوات المدرسية التي تصرفها وزارة المعارف هنا ، فإذا أعني الآباء من المصاريف المدرسية فلا أقل من أن يشتروا لأولادهم ما يحتاجون إليه من كتب وأدوات مدرسية ؛ وهذا الكلام يوفى على الزيادة قدر ما من المال لا بأس به .

٣ - أن توجه المدارس الفنية توجيهاً تجارياً إلى جانب مهمتها التعليمية ؛ فتباع منتجاتها الزراعية والتجارية لحساب وزارة المعارف . ولا شك أن أثمان هذه المنتجات سيعطى جزءاً كبيراً من نفقات هذه المدارس .

٤ - أن تبدأ وزارة المعارف بتنفيذ هذا المشروع تنفيذاً جزئياً عملياً - كتجربة - في منطقة من مناطق القطر . ولهذه التجربة تبعيتها الزدوجة ، وهي : أولاً أنها تعطينا فكرة صحيحة صادقة عن مقدار ما يحتاج إلى المشروع من مال عند تميمه ؛ وثانياً نعلم من الأخطاء التي قد تقع فيها أثناء التجربة . وقد تكون التجربة أسلم طريقة لتنفيذ هذا المشروع الضخم .

وليس في التقرير ما يحتمل التعجيل بالتنفيذ ، فإنه بشرى (١)

(١) صفحة ٦٧ من التقرير الذي سبق عليه .

صاحب امتياز الحلة
رئيس خة المؤلف والفرقة والنشر

أمر أمين مكتبة

رئيس التحرير الشؤون

فهرس الوامر معروف

٤٥٥ في مصر والسودان

٣٧/٥ لفتلة ومكتب الإلزام

٦٠ في الممالك التابعة ضمن اتحاد البرد

٧٥ في المالك الخارجة عن اتحاد البرد

بين المصدرو ١٥ منها

الاشتراك
فهرس

أدب الأسبوع ...

« هذا رأيي وعلى تبعته وحدي ... »

اقرأ ... - الحصان والجوكي ١ - وعبرانيا
الأوب ١ - القطار - خطبة ١

اقرأ ...

أنت سلسلة « اقرأ » التي تصدرها مكتبة المعارف ، سنة من عمرها البدن إن شاء الله ، أصدرت فيها التي عشر كتاباً لاني عشر كاتباً من حيرة كتابنا وأذ تسعهم شهيرة وأدامهم إلى قلوب القراء وأنسدهم أرواً في قلوبهم وعقولهم ؛ وإنه لحق علينا في هذه المناسبة أن نحسى هذه « المجلة » الناشئة ورجو لها اطراد التقدم على النبع التي أودته ورسمه لها القاعون عليها من أهل الفن والأدب الرفيع ، نعى على أئى أحوالها زهوة أدبية مرحة ، مادام الغرض الأول من نشرها تحبيب الكتاب إلى قارئه ، واحتذاب طائفة من أهل الفراغ والبطالة إلى أن يشاءوا بحسبهم القراءة التي تراوج بين التمتعة والسلية ومحاولة الإحاطة بالفراغ في تقريب طائفة من حقائق العلم والفن الخاصة إلى طائفة من القراء ليس لهم فيها تخصص مهيم على الرجوع إليها في مصادرها الأولى من مراجع البحث ومطولات العلوم والفنون . وإذا كان هذا هو الغرض الأول من نشر هذه السلسلة ، فليس من حقي - في هذه المناسبة - أن أعرض لتفصيل الرأي فيما أخرجته لقرائها في ذلك العام النصرم ، فإن أول ما تشكرو منه في هذا البلد هو انصراف التلاميذ عن القراءة النافعة ، فأشياء كاتب أو ناشر عمل محملاً لاجتناب هذه اللمة فهو مشكور على ما حمل في جسده ، لا سبيل لتثاقده عليه إلا فيما يقول من قول أو يرى من رأى أو يدعو من دعوة تناول الأمة في دينها أو في كرامتها الوطنية أو في أخلاقها العامة .

الحصان والجوكي ١

ودعت سلسلة « اقرأ » جمهور قرائها - وكُتبتها -

إلى استفتاء عام - الخامسة دخولها في سنها الثانية - وسبقت بينهم جائزة ؛ أما الاستفتاء فهو : أئى الكتب التي أصدرتها في السنة الماضية - ما عدا الكتب الثلاثة الأولى وهي من وضع أعضاء اللجنة - ينال رضا الأكثرية من القراء ؟ وأما الجائزة فهي ٧٠ جنياً مؤلف الكتاب الفائز ، و ٣٠ للقارئ الذي يوزع بالاقتراع من بين القراء الذين اختاروا ذلك الكتاب ! ...

... وتعبت حين قرأت هذا الاستفتاء الطريف لو كنت - في السنة الماضية - كاتباً من كتبات هذه السلسلة ، إذن لكان لي اليوم مطمع أن أربع سبعين جنياً ، وإنها لآمال !

قال لي صاحبي : إن لم تكن كاتباً يوزع والسبعين فأليك التسلط على أن تكون القارئ الذي يطالع في الثلاثين ، ولعل لك أن ترى وتحكم فلا تعدو الحق فيما تحكم ! ... قلت : هيات ! ليس من ذلك عجب وما أغنى ، وإنما أجب عن الجواب السليم والجواب الإيجابي في هذا الاستفتاء فقلت : قواف قد فرغ مما كان عليه من واجب ، قد كتبت ما أكتب ثم طبع وزاع منذ أشهر ، فإنه لحالني إلى مكتبة في داره لا يفكر في شيء مما كان حين يدق عليه ساعي البريد بأه في تحفته ليدفع إليه سبعين جنياً هي جائزة قرائه ...

وهؤلاء آلاف من القراء يصطارعون على الرأي في الكتاب الأول ، وإن اسكل منهم مطمعاً في الثلاثين قد يحمله على أن يكون له تسعة آراء لأرائي واحد ، فبري كل كتاب من التسعة خير كتبات ، ليعلم أن يكون اسمه في كل اقتراع ؛ ثم تكون نتيجة ذلك كله أن يحصل على الثلاثين قارئ واحد من بين هذه الآلاف ... أو أشبه في هذه المباراة قد سبقوا بين المؤلفين أو بين القراء ؟

وفحك صاحبي وقال : رأيت « الجوكي » على فرسه في حلبة السباق قد كوى مرة الحصان على كفه وإن البوت ليبرص به في كل فترة وفي كل حفرة وعلى كل

من جوع ! ويؤلف المؤلف العظيم - كما يُدَّعى الديك الرومي - فلا يقرؤه إلا قارئ واحد ليخلصه في بضعة صفحات من جلة يقرؤها مئات الآلاف واقفين أو ماشين أو راكبين ، كما يوزع يباع الشطائر لحم الديك الرومي في بضعة أيام على الآلاف من الراكبين يقول كل واحد منهم : لقد أكلت الديك الرومي ، وما أكل إلا شطيرة ! ويعود الكتاب ذكري ، ويصبح الأدب مسلاة ، ويصير الأدباء أخصاء عند باعة الشطائر !

خطبة ١

قرأت في جريدة الأهرام :

« في حفل بهيج تحت خطبة فلان بكية العلوم زميلته الآسنة الهذبة فلانة كريمة فلان بك ... »

وهو إعلان مأجور - كما هو واضح - دقَّع عنه ناشرة ، أو ناشرة ، الأجرة المقررة وكُتِبَ كما أراد أن يكتب لم يزد فيه أحدٌ حرفاً غير ما أراد أن ينشر ؛ ولكن أي شيء في هذا ؟ ...

... فانه أن طالب بكية العلوم خطب « زميلته » ... وأني شيء في هذا أيضاً ؟

... لا شيء ، فإنه لم يسرَ وبهج حقاً أن يكون هذا مصير الزملاء وزميلاتهم في كل كلية من كليات الجامعة ، وإنه ليقطع ألسنة ما تزال تتناول ... ، ولكن الذي أسأل عنه : أي الاثنين ينشر هذا الإعلان ؟ وأيهما خطب « زميله » ؟ ولِمَ ينشر هذا الإعلان ، ألها وحدهما ؟ أم لساير الزملاء وزميلات ؟ أم للأهل والأقارب وفلان بك والدان خطبة زميلة ؟ وحاولت أن أعرف الجواب فما بلغت ، ولكني إلى ذلك مسرور ، مسرور جداً ، وكان أتم لسروري لو أن هذا الإعلان البهيج كان على الصورة الآتية :

« يعلن فلان الطالب بكية العلوم إلى زملائه وزميلاته بالسككية ، أن زميلته فلانة قد سارت منذ اليوم خطيبته ، فلا يتفقهما أحدٌ منفرداً أو مجتمعين في ظلال الشجر ، ولا يحملهما أحد بعد اليوم موضع الحديث والسمر !! »

« قاف »

والفن ، ولكننا نتحدث عن ذلك النوع من المطالعات في أدب الجيل .

وإنما ربطنا بين الحديث عن « اقرأ » و « المختار » لأن نعمة تشابهها ما في الشكل العام وفي الأثر والنتيجة يقتضي هذا الربط على بُعد ما بينهما في الموضوع والوحدة ... ، فكلها نوع جديد من المطالعات الدورية ليس من الكتاب ولا من المجلة وإن كان أدنى شهما إليهما . وقد أقبل القراء على هذا النوع إقبالاً يدعو الباحث

إلى تعرف أسبابه وما قد يكون له من أثر ونتيجة ؛ أما السبب فيما أرى فهو مستمد من روح العصر الذي هوّن على الناس أفراداً وأسراراً أن يهجروا الجلوس إلى الثالثة في البيت الهيباً ليتناولوا طعامهم ماشين أو راكبين أو واقفين يقضون « الشطائر » وهم يتبادلون الرأي في شئون العلم أو في شئون المال ، وكذلك كان عليهم أن يهجروا المكتاب والمجلة إلى هذه المطالعات يتروكون منها ما تزودهم ماشين أو راكبين أو واقفين في انتظار الترام !

ذلك هو السبب ؛ فما نتيجته وأثره ؟ أما أثره فسيل الربض المعبود من أهل المدينة من سبب علته ، تعرف السبب والنتيجة لها ؛ فقد تشككت مسيدات الناس في المدينة وساء هضمهم واختل نظامهم المعص من أكل الشطائر ماشين أو راكبين أو واقفين حيث كانوا ؛ فأيّد أن فسد « مسيداتهم الأدبية » إن اقتصر القراء على هذا النوع الواحد من الغذاء الأدبي يتناولونه في القطار أو في السيارة أو في الترام فلا يجلسون إلى كتاب في مكان هادئ إلا متأهبين لامتحان أو لإنشاء بحث ؛ كما لا يجلسون إلى مائدتهم يوماً في الدار للطعام إلا داعين أو مدعوين أو محفلين بعيد !

ولو أن الأمر مضى على هذا الوجه طاء اليوم القريب الذي يجتني فيه الكتاب من سوق الأدب فلا تبقى إلا هذه « الشطائر السوقية » متعددة الألوان مختلفة الذائق متنوعة الفنون يعرضها المعارضون على كل عين وراء الزجاج ، تتناولها الأنصار والأبدى ، وما فيها أقدار ولا دسم ولا شبع